بحوث في اللغة العربية وآدابها: نصف سنوية لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان
العدد ٢ (ربيع وصيف ١٤٣١ هـ. ق/ ١٣٨٩هـ. ش)، ص ٦٩ - ٨٠

دعائم تأثير الخطيب على المخاطبين[1]

نصرالله شاملي*
فريبا حسيني**

الملخّص:

يتمحور هذا البحث على أربعة مواضيع:

١ـ ظاهر الخطيب: أعالج في هذا القسم ظاهر الخطيب؛ أي مظهره الخارجي، وجمال وجهه، وقوّة صوته، وحركاته وإشاراته باليد والعصا والحاجب و...، وثيابه الجميلة والنظيفة، وقامته الرشيقة والمعتدلة و... وسأفصل القول في هذا الموضوع فيما بعد تحت عنوان «ظاهر الخطيب».

وأقول: إنّ جمال وجه الخطيب واعتدال قامته وقوّة صوته و... يؤثّر على اجتذاب أنظار المخاطبين، مع أنّ الخطيب القبيح المنظر أيضاً قد يأسر الألباب ببلاغته وفصاحته، مما يغطّي على قبح صورته ودمامة خلقته.

٢ـ باطن الخطيب: أدرس فيه أخلاق الخطيب، وتقواه، ونيّته، ومعرفته لنفسيّات السامعين وعاداتهم وأهوائهم وانفعالاتهم، وعلمه، وثقافته، وسرعة تذكّره.

٣ـ ظاهر الخطابة: أشير في هذا القسم إلى طريقة إلقاء الألفاظ والعبارات بحيث كانت هذه الألفاظ والعبارات واضحة، وصحيحة، وممزوجة بالأمثال والحكم والآيات القرآنية، وملائمة بمعانيها. كما أعالج هذه المعاني تحت أربعة عناوين هي: حسن البيان والإلقاء، وفصاحة الكلام، وامتزاج الكلام بالآيات القرآنية و...، والملائمة بين العبارات ومعانيها.

٤ـ باطن الخطابة: أشير في هذا القسم إلى موضوع الخطابة وأقول: إنّ الخطابة يجب أن يكون موضوعها متناسباً مع عقول المخاطبين، موافقاً لمقتضى الحال؛ ثمّ أقول: إنّ الخطابة إذا كان موضوعها ابتكارياً وجديدًا، فهي تؤثّر أكثر فأكثر على المخاطبين.

المفردات الرئيسية: الخطيب، فنّ الخطابة، سحر البيان، تأثير الكلام.

---

١. تاريخ التسلم: ١٣٨٥/١٢/١٤هـ. ش (٢٠٠٧/٣/٥م)؛ تاريخ القبول: ١٣٨٦/٨/١هـ. ش (٢٠٠٧/٩/٢٣م).

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان
** طالبة الماجستير في اللغة العربية و آدابها بجامعة إصفهان

المقدمة :

الحمد لله الذي يسّر لنا من العلم والعمل ما لم نكن عليه بقادرين، وهيّأ لنا من الجدّ والصبر ما لم نكن له بحاملين. والصلاة والسلام على محمد النبيّ الأمين ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين عليهم السلام ، ومن أخلص لله في علمه وعمله إلى يوم الدين.

و بعد، فلمّا نظرت نظرة عابرة في المؤلّفات التي تكون حول فنّ الخطابة، رأيتُ فيها فراغاً، وهو خلوّها من أيّ عمل مرتّب للّذي يريد أن يقوم بالخطابة في المستقبل، فعزمت أن أكتب مقالة حول هذا الموضوع. وقبل كتابة هذه المقالة، درست الكتب المختلفة ـ باللغتين العربية والفارسية ـ حول الخطابة والبيان، من أهمّها: *البيان والتبيين* للجاحظ، *الخطابة* لأرسطو، *الخطب والمواعظ* لمحمد عبدالغني حسن، *سخن وسخنوري* لمحمد تقي فلسفي، *اصول ومبادى سخنوري* لمحمد باقر شريعتي سبزواري، و....

وتوصلت إلى أن الكتب الفارسية في موضوع الخطابة في مستوى عال يساعد من يريد أن يقوم بالخطابة أحسن مساعدة، لكن الكتب العربية ما وجدت فيها كتاباً مفيداً في هذا المجال؛ لأنّ موضوعاتها ليست مرتّبة، كما ليس أسلوبها مما يلفت النظر. فكلام مؤلّفي هذه الكتب حسن، لكن أحسن الكلام ما زانه حسن النظام. مثلاً كتاب *البيان والتبيين* للجاحظ أول كتاب يعالج الخطابة في الأدب العربي، إلّا أنها معالجة غير مستقلة ولا قائمة بذاتها؛ لأن الكتاب عبارة عن مسائل منثورة متفرقة جمعت من هنا وهناك، مع أنه لا يخلو من التطرق إلى فنون القول من الخطابة والشعر والرجز والقصص وغيرها.

ولهذا أعددت هذا البحث، ورتّبتُ مادّتها ترتيباً جديداً مفيداً بحيث تكشف للقارئين سرّ نجاح بعض المتكلمين، وأيضاً تكشف لهم أسرار تأثير الكلام.

وكلّ من يقرأ هذه المقالة، يعرف في زمن قليل عوامل تأثير الخطيب على المخاطبين، ويستطيع أن يستخدم هذه العوامل في خطاباته في منتهى البساطة والسهولة.

ولا يتعرض بحثنا هذا لتاريخ الخطابة وتطوّرها في الأدب العربي بالتفصيل، كما لا يتحدث عن أنواع الخطابة، بل يتطرق إلى قواعد الخطابة وأصولها.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

مدخل إلى معنى الخطابة :

تعريف صناعة الخطابة عند المنطقيين: «**إنها صناعة علمية بسببها يمكن إقناع الجمهور في الأمر الذي يتوقع حصول التصديق به بقدر الإمكان**» (المظفر، ١٩٦٨ م، ص ٤١٥).

الخطابة وتطوّرها في العصر الجاهلي :

إن الخطيب الجاهلي هو الذي يؤلّب جموع القبائل على أعدائه، ويدعو إلى الصّلح، ويمثّل القبيلة في مجالس الاحتكام والشورى، كما أنه ـ بالإضافة إلى ذلك ـ يحرّض على الحرب أو ينهى عنها. وهكذا كانت الخطابة في نشأتها الأولى في الجاهلية تَصحب المقاتلين في غمار المعارك، وتُسهم في ملاحم البطولة إلى جانب السيف، وتساعد في وضع أكاليل الفخر على رؤوس الأبطال، كما تُلحق الذل والعار بالمنكسرين المخذولين. فازدهرت الخطابة وشاعت في العصر الجاهلي بإلزام من واقع ذلك العصر الفروسي، وطبيعة الصحراء، حيث كان الإنسان يكسب عيشه بالغزو والقتال. وإذا أضفنا تعصّب العربي لقبيلته دون سائر القبائل وفخره بنفسه وبقومه، يتبين لنا إلى أي مدى كانت الخطابة تسهم في الحياة الجاهلية العامة.

الخطابة وتطوّرها في العصر الإسلامي:

إن العصر الاسلامي كان في مجمله عصر التنازع الفكري ـ الاجتماعي إلى جانب التنازع السياسي، وذلك بين القُرَشيين والرسول في مستهلّ الدعوة، ثم بين المسلمين والمشركين بعد موت النبي. ذلك، جميعًا، يعطي الخطابة دوراً هاماً ومؤثراً في ذلك المجتمع المضطرب بتيّاراته الفكرية المختلفة. فالخطابة كادت تكون الوسيلة الوحيدة لبثّ الأفكار والدعوات؛ لأن الكتابة لم تكن شائعة.

الخطابة وتطوّرها في العصر العباسي:

إن العصر العباسي كان عصر العقل؛ حيث برز النثر العلمي كأداة للإيضاح والتفسير، وازدهرت الفلسفة وولجت حتى إطار الشعر. وإذا كانت الخطابة في شتى أنواعها لم تنعدم في ذلك العصر، فإنها لم تعد تشغل الحيّز الفكري الذي شغلته فيما تقدم من العصور؛ إذ حلّ الجدل العقلي محلها، كما تضاءل شأنها في الحياة العامة الواقعة تحت وطأة العقل وأبحاثه وتحليلاته.

وهكذا، فإنّ تحضّر العقل واقتضاءه الأساليب النثرية التي تخدم أغراضه، وتقدّم الحضارة واشتغاله بالتنظيم والتجريد والفلسفة أضعفَ من شأن الخطابة، دون أن يزيل آثارها. (الحاوي، ١٩٧٣م).

أنواع الخطب:

لقد كان أرسطو أول من عني بتقسيم الخطابة إلى أنواع، حيث جعلها ثلاثة أقسام: الاستشارية، والقضائية، والاستدلالية. وهو يعتمد في هذا التقسيم على عناصر ثلاثة أيضاً، هي: الخطيب والسّامع والموضوع. أما الخطب الاستشارية، فتبتغي النُّصح والإرشاد والتحذير؛ والخطب القضائية، فغايتها الاتهام والدفاع، بينما تهدف الخطبة الاستدلالية إلى المدح والذمّ (السابق، ص ١٦١).

و امّا إيليا الحاوي، فيعتقد بأن تقسيم الأنواع الخطابية ـ كما هو مألوفٌ في عصرنا ـ يتناول الخطب السياسية، والخطب القضائية، والخطب الدينية، وخطب المحافل. أمّا الخطب السياسية، فتتناول الموضوعات التي تتعلّق بتنظيم الجماعة وإقامة الحكم فيها، أ كان ذلك في المجالس النيابية، أم في الاجتماعات الانتخابية، فضلاً عن الندوات العامة والمحافل الدولية. ويمكن أن نضيف إلى هذه الخطب السياسية الخطب العسكرية، وهي تعتمد على الحماسة كسائر الخطب، لكنها في الآن ذاته تبدو أكثر دقّة وانضباطاً.

وأمّا الخطب القضائية، فهي الخطب التي تُلقى في دور المحاكم. والخطب الدينية هي الخطب التي تُلقى في المساجد والكنائس، متعمِّدة التأثير على السامعين، وحضّهم على الفضيلة وترك متاع الدنيا. وخطب المحافل هي الخطب التي دعاها أرسطو الخطبَ الاستدلالية، حيث تعتمد على التكريم والتأبين معالِجةً موضوعًا مما يجري في الحاضر(السابق، ص ٢٣ ـ٢٥).

و أمّا الموضوع الأصلي في هذا البحث فليس بحثاً في تاريخ الخطابة وتطوّرها في الأدب العربي، وليس بحثاً في أنواع الخطب، بل في قواعد الخطابة وأصولها. وإنّما بحثنا إجمالًا حول تاريخ الخطابة وتطوّرها في الأدب العربي، وأيضًا حول أنواع الخطب كمقدمة لهداية القارئين إلى الموضوع الأصلي.

و الآن نبحث حول الموضوع الرئيس وهو «قواعد الخطابة وأصولها»، ونعالج هذا الموضوع عبر أربعة مباحث:

١ـ ظاهر الخطيب؛ ٢ـ باطن الخطيب؛ ٣ـ ظاهر الخطابة؛ ٤ـ باطن الخطابة.

١ـ ظاهر الخطيب :

نعالج في هذا القسم ثلاثاً من المواصفات المرئية والظاهرية التي تؤثّر على المخاطبين :

أ. مظهره الخارجي ؛ إذا كان ظاهر الخطيب جميلاً، فهو أروح للعين وأمتع للنفس ؛ لأن الناس يحبّون الجمال، ولا شك أنّ لشكل الخطيب ومظهره الخارجي أثراً كبيراً في سامعيه ؛ لأن الجمال يجتذب أنظار الناس بطبيعة الحال. هذا، وإن الخطيب القبيح الوجه أيضاً قد يأسر القلوب ببلاغته وفصاحته وقوّة صوته و... مما يغطي على قبح صورته ودمامة خلقته ؛ كما يقول الجاحظ : «**قال العبّاس بن عبد المطّلب للنبيّ ﷺ : يا رسول الله! فيم الجمال؟ قال : في اللسان**» (الجاحظ، آ ١٤٢٣هـ. ق، ص ١٠٢).

و يقول الجاحظ أيضاً :

> **نظر النعمان بن المنذر إلى ضمرة بن ضمرة. فلمّا رأى دمامته وقلّته قال : «تسمع بالمعيدي لا أن تراه» ـ هكذا تقوله العرب ـ. قال ضمرة : «أبيت اللعن! إن الرجال لا تُكال بالقفزان، ولا توزن في الميزان، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه». وكان ضمرة خطيباً، وكان فارساً شاعراً شريفاً سيّداً** (السابق، ص ٢٦٤).

ثمّ يأتي الجاحظ برواية أخرى ويقول :

> **روى الهيثم بن عدي عن أبي يعقوب الثقفي، عن عبد الملك بن عمير، قال : قدم علينا الأحنف بن قيس الكوفةَ مع مصعب بن الزبير. فما رأيت خصلة تُذمّ في رجل إلّا وقد رأيتها فيه : كان صعْل الرأس، أحجن الأنف، أغضف الأذن، متراكب الأسنان، أشدق، مائل الذقن، ناتئ الوجنة، باخق العين، خفيف العارضين، أحنف الرِّجلين، ولكنه إذا تكلم جلّى عن نفسه** (السابق، ص ٦٤).

ب. قوّة صوته ؛ لقوّة صوت الخطيب واهتمامه بإبانة الحروف وأدائها من مخارجها أثر كبير في اجتذاب المخاطبين ؛ فإن الصوت القوي المرن ممّا يعين الخطيب في كثير من المواقف ؛ كما يمتاز بعض الخطباء ـ على رغم عيوبهم الكثيرة ـ بجهارة صوتهم وقوّته. «**والصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف. ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلّا بظهور الصوت؛ ولا تكون الحروف كلاماً إلّا بالتقطيع والتأليف**» (السابق، ص ٩٠).

فإذا كان الخطيب قويّاً ومبيناً في صوته، اجتذب آذان المخاطبين بطبيعة الحال ؛ كما يقول الخطيب الشهير المرحوم الشيخ فلسفي (١٤١٠ هـ. ق) ما ترجمته : «**إن الخطيب إذا أراد أن يقول أمراً هامّاً، فينبغي أن يرفع صوته؛ وإذا أراد أن ينصح الناس، فيحسن به أن يبيّنه بصوت منخفض**» (ص ١٥٢).

و«**كان رسول الله ﷺ إذا خطب، قال في خطبته : " أمّا بعد". فإذا ذكر الساعة، اشتدّ صوته واحمرّت وجنتاه**» (المجلسي، ١٣٣٥ هـ. ش، ص ٣٠١).

و قد يكون سقوط بعض الأسنان آفة لقوّة صوت الخطباء وجهارته ؛ كما ذكره محمّد عبد الغني حسن (١٩٩٠م) : «**قد يكون سقوط الأسنان آفة الخطباء، ولكنه لا يمنعهم من إبانة الحروف وتوضيح مخارجها**» (ص ٣١).

ونستنتج أن إبانة الحروف وأدائها من مخارجها من الفصاحة، والخطيب الفصيح هو الذي يبين الحروف ويوضح مخارجها، ويوقظ الناس من نوم الغفلة بصوته القوي والمحكم وبكلماته القوية ومعانيه القيّمة. وهذا المهم لا يحصل له إلّا بعد الممارسات الكثيرة.

ت. حركاته وإشاراته باليد أو بغير اليد ؛ لا شك أن الجوارح والعصا و... تعين اللسان على البيان ؛ فينبغي للخطباء والمتكلمين أن يستعينوا على تصريف وجوه القول والتعبير عن المعاني بالإشارة بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم. فإذا أشاروا بالعصا في أثناء خطبهم، فكأنّهم أضافوا إلى أيديهم يداً أخرى.

ويعتبر الجاحظ (آ ١٤٢٣هـ. ق) الإشارة شيئاً من أصناف الدلالات على المعاني، ويقول :

فأما الإشارة، فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان؛ وبالثوب وبالسيف. وقد يتهدد رافع السيف والسوط، فيكون ذلك زاجراً، ومانعاً رادعاً، ويكون وعيداً وتحذيراً. والإشارة واللفظ شريكان. ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه. وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تُغني عن الخط. وبعْدُ، فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة، وحلية موصوفة على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها؟ وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة في أمور يستُرها بعض الناس من بعض، ويُخفونها من الجليس وغير الجليس (ص ٨٩).

ثمّ يأتي الجاحظ (ب ١٤٢٣هـ.ق) بذكر العصا وأخبارها وفوائدها و... في فصل فتحه تحت عنوان «كتاب العصا». فيقول في هذا الفصل:

الدليل على أنّ أخذ العصا مأخوذ من أصل كريم، ومعدن شريف، ومن المواضع التي لا يعيبها إلّا جاهل، ولايعترض عليها إلّا المعاند اتخاذ سليمان بن داود عليه السلام العصا لخطبته، وموعظته ولمقاماته وطول صلاته، ولطول التلاوة والانتصاب؛ فجعلها لتلك الخصال جامعة (ص ٢٩).

فالإشارات باليد أو بغير اليد تثير السامعين، وتوجّه عواطفهم نحو الخطيب، وتجعلهم أكثر استجابة لرأيه:

فكان " أبو شمر" إذا خطب، لم يحرّك يداً ولا منكباً، ولم يقلّب عينيه، ولم يحرّك رأسه، حتّى كأنما كلامه يخرج من صدع صخرة. ورأيه أن صاحب المنطق لا ينبغي له أن يستعين عليه بغيره من وسائل الإشارة والحركة. وما زال كذلك حتى أقنعه إبراهيم النظام[1] بضرورة ذلك للخطيب. وكان «أيّوب بن جعفر» العباسي حاضراً ذلك؛ فتحوّل منذ ذلك اليوم من عدم الحركة إلى الاستعانة على الخطابة بالحركات والإشارات (حسن، ١٩٩٠م، ص ١٣).

و نحن نعتقد أنّ إلقاء الكلام دون أيّ إشارة باليد أو بغير اليد ليس ممكناً؛ لأننا نستفيد عند التكلم من أسماء الإشارة كثيراً، واستخدامها لا يمكن إلا بالإشارة باليد أو الحاجب أو...؛ كما يقول الدكتور فاروق سعد (١٩٨٧م): «**لا يُتصور نطق اسم من أسماء الإشارة دون أن يقترن هذا النطق بإشارة اليد**» (ص ١١١).

وهناك صفات أخرى إضافة إلى هذه الصفات الظاهرية؛ منها: الثياب الجميلة للخطيب، وأيضا قامته الرشيقة والمعتدلة. وينقل الجاحظ (آ ١٩٥٥م) من محمد بن يسير الشاعر: «قيل لأعرابي: ما الجمال؟ قال: طول القامة وضخم الهامة، ورحب الشدق، وبعد الصوت» (ص ١٣٩).

و أيضا، تقسيم لحظات الخطيب بين المخاطبين بالسّويّة. «**عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لحظاته بين أصحابه، فينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسّويّة**» (الكليني، ب ١٣٤٤ هـ. ش، ص٤٩٦).

و كلّ هذه العوامل لها أثر كبير في اجتذاب أنظار المخاطبين. فعلى الخطيب أن يهتم بظاهره كما يهتمّ بباطنه؛ لأن الخطابة هي فنّ هدفها الإقناع والاستمالة. فالخطيب إذا أراد أن يقنع الناس بكلامه، فعليه أن يهتمّ بجماله الظاهري والمعنوي على السواء.

باطن الخطيب:

١ـ أخلاقه وتقواه ونيّته؛ إن الخطيب لا يصل إلى الدرجات الرفيعة دون أخذ الأخلاق والسلوك الحسن مأخذ الاعتبار. فعليه أن يتحلّى بالتقوى وبالفضائل الأخلاقية، وأن تكون بين قوله وعمله ملائمة.

١ـ أبو إسحاق النظّام إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري من أئمة المعتزلة. قال الجاحظ: «**الأوائل يقولون: في كل ألف سنة رجل لا نظير له؛ فإن صح ذلك، فأبو إسحاق من أولئك**». تبحّر في علوم الفلسفة، واطلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين وإلهيين، وانفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت « النظامية»، نسبة إليه. و... (الزركلي، *الأعلام*، ص ٣٦).

«**أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله ﷻ قد ألبسه من الجلالة، وغشّاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله**» (الجاحظ، آ ١٩٥٥م، ص ٩٥).

ونعتقد أن الخطيب إذا انفصل عن التقوى والإيمان والفضائل، انفصل كلامه عن قلوب الناس؛ فنحن نؤمن بأن دمامة الكلام ودماثته بقدر دمامة الأخلاق ودماثته. فإذا نصح الخطيب جمهور الناس بالورع والتقوى والصدق والعدالة، وهو نفسه أهل الظلم والكذب، فكلامه لا يؤثّر في الناس، بل يضلّهم عن طريق الحقيقة. و إذا كانت نيّة الخطيب التقرّب إلى الله تعالى، اعتلى مكانه عند الله تعالى وعند الناس.

و يقول الجاحظ (آ ١٩٥٥م): «**لأياد وتميم في الخطب خصلة ليست لأحد من العرب؛ لأن رسول الله ﷺ هو الذي روى كلام قس بن ساعدة «ثمّ يقول» . إنّما وفق الله ذلك الكلام لقس بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد، ولإظهاره معنى الإخلاص، وإيمانه بالبعث**» (ص ٦٠).

«**وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه، زلّت موعظته عن القلوب، كما يزلّ المطر عن الصّفا**» (الكليني، آ ١٣٤٤ هـ. ش، ص ٥٦).

فعلى الخطيب أن يلزم الصدق والورع و... ثمّ يخاطب أمام الجمهور وينصحهم. يقول الله ﷻ: «**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلونَ**» (الصف ٦١: ٢). «**وقد قال عامر بن قيس: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان**» (الجاحظ، آ ١٩٥٥م، ص ٩٥). و إذا كان لسان الخطيب وقلبه متلائمين في القول والنيّة، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة.

٢ـ تعرّفه على نفسيّات السامعين؛ فمعرفة الخطيب نفسيّات السامعين وعاداتهم وأهوائهم وإنفعالاتهم ذات أثر كبير في نجاحه. ففي كتاب *الخطابة* لأرسطو (في المقالة الثانية، فصول ٢ ـ١١) تحليل نفسي دقيق الغور لنفسيّة السامعين والقضاة و...؛ لأن قيمة الخطبة تكمن في اجتذاب نفوس هؤلاء، وهذا يقتضي بالضرورة العلم بالطبيعة الإنسانية، في ذاتها وفي مجتمعها، ومعرفة طباع الناس وعاداتهم وأهوائهم وانفعالاتهم.

و هذه الفصول تشتمل ـ في الحقيقة ـ على دراسة الانفعالات الإنسانيّة. بعبارة أخرى، دراسة الحجج النفسية أو الأخلاقية القائمة على معرفة الانفعالات الإنسانية وأسبابها وأنواع الأخلاق؛ فإن بين علم النفس وفنّ الخطابة صلة وثيقة.

و يقول د. عبد الرحمن بدوي في مقدمة كتاب *الخطابة*:

> **الخطيب مثل الطبيب، لا يستطيع أداء مهمته إلا بالعلم: الأول بحال النفس، والثاني (الطبيب) بحال الجسم. ومن هنا فإنّ فنّ الإقناع، وهو مهمة الخطابة، يستلزم معرفة علمية عميقة بالنفس الإنسانية، وأي نوع من الكلام يؤثّر في أحوالها وأمزجتها. ولهذا ينبغي على الخطيب أن يكون قادرا على تشخيص أحوال السامعين النفسيّة، مثل قدرة الطبيب على تشخيص أحوال الجسم المَرَضيّة** (أرسطو، ١٩٨٠م، ص ١٦).

و قد نرى في الكتب التي تعنى بعلم النفس أبحاثًا عن مصالح الجماعات البشرية، وآمال الناس ومخاوفهم، ومطامحهم وتقلّباتهم. فإذا أراد الخطيب أن ينجح في عمله، فعليه أن يعرف علم النفس بحدّ كافٍ. فبين علم النفس وفنّ الخطابة ـ كما قلنا ـ صلة وثيقة. فهنا نأتي بمثال ليستنتج القارئ أن معرفة الخطيب لنفسيّات السامعين ذات أثر كبير في نجاح الخطيب:

> **لقد كان معاوية بن أبي سفيان من أخبر خطباء العرب بالنفسيّات التي يخطب فيها، وكان له في استلال سخائم النفوس طريقة بارعة يترضى بها الغضاب، ويهدئ بها الثورات، حتى تلين له مقادة الرجال. فحينما بايع لابنه يزيد وكتب ببيعته إلى الآفاق، أبى مروان بن الحكم ـ عامله على المدينة ـ أن يقر بالبيعة. فعزله معاوية وولى مكانه سعيد بن العاص. فجاء مروان مغاضباً من المدينة إلى دمشق، ودخل على معاوية يخطب هادراً كالسيل، ويهدد ويتوعد، ويقول فيما يقول: «فأقم الأمر يا ابن أبي**

سفيان، واعدل عن تأميرك الصبيان، واعلم أن لك في قومك نظراء، وأن لهم على مناوأتك وزراء». فغضب معاوية من هذا الكلام غضباً شديداً، لكنه كظم غيظه، وكتم غضبه، وأخذ بيد مروان أمام الجمع الحاشد وهو يخطب قائلاً: «إن الله قد جعل لكل شيء أصلاً، وجعل لكل خير أهلاً. ثمّ جعلك في الكرم مني محتداً، والعزيز مني والداً. اخترت من قُرومٍ قادة، ثم استللت سيّد سادة. فأنت ابن ينابيع الكرم... فمرحباً بك وأهلاً من ابن عمّ! ذكرتَ خلفاء مفقودين، شهداء صديقين، كانوا كما نعتّ، وكنت لهم كما ذكرت، وقد أصبحنا في أمور مستحيرة، ذات وجوه مستديرة، وبك والله يا ابن العمّ! نرجو استقامة أوَدها، وذلولة صعوبتها، وسفور ظلمتها، حتى يتطأطأ جسيمها، ويركب بك عظيمها. فأنت نظير أمير المؤمنين، وعُدّته في كل شديدة وعضده، والثاني بعد ولي عهده! فقد ولّيتك قومك، وأعظمت في الخراج سهمك! وأنا مجيز وفدك، ومحسن رفدك، وعلى أمير المؤمنين غناك، والنزول عند رضاك!». ولقد سكنت بالطبع ثائرة مروان بعد هذه الخطبة البارعة، وبعد هذا المدح الذي خلعه الخليفة الحليم على والٍ ثائر، وبعد هذا الوعد بالخلافة بعد وليّ عهده يزيد، وبعد هذا العطاء الجزل والنائل الضخم الذي أضفاه معاوية على مروان وعلى وفده وأهله الذين حضروا بباب الخليفة معه!! (حسن، ١٩٩٠م، ص ٢١ ـ ٢٢).

نعم، إنّ الخطيب الناجح هو الذي يسعى أن يلقي كلامه بوجه ذي أثر كبير في إقناع السامعين واستمالتهم. فيبحث عن أيّة وسيلة للوصول إلى هذا الهدف. ونعتقد أن معرفة نفسيّات السامعين، أهمّ وسيلة للخطيب في إلقاء كلمته. فإذا كشف الخطيب هذا السرّ، وصل إلى عمدة هدفه.

ويمكن للخطيب أن يستغلّ هذه المعرفة عن طريق قراءة كتب علم النفس وعلم الإجتماع، أو عن طريق تعاملاته الكثيرة مع الناس. فنستنتج ممّا تقدم أن الخطيب إذا عرف نفسية السامعين، يستطيع أن يضرب على الوتر الحساس الذي يهزهم؛ كما يصبح قادراً على أن يصل إلى مواضع التأثير من نفوسهم، ويحملهم على الهدف الذي ينشده، في غير عسرة عليه ولاجماح منهم.

إنه متى كان عارفاً وعالما بالنفوس، يستطيع أن يلعب بمشاعرهم، وأن يستخدم أهدى السبل في إقناعهم أو استمالتهم، وأن يتخير الكلمة الملائمة لإثارتهم، أو يُبرز الحدث المثير لعواطفهم، أو يطامن من غرورهم وغُلَوائهم، ويُسكّن من ثائرة نفوسهم.

٣ ـ علمه وثقافته؛ إن الخطيب الذي يتحدّث في موضوع ما، ينبغي عليه أن يكون على علم حول ذلك الموضوع، بحيث لو نسي شيء، أمكنت إضافته؛ وإذا كان شيء غير كاف، زيد في مقداره؛ وإذا سأله سائل، كان قادراً على جوابه.

و قد جاء في كتاب *الخطابة*:

فإن الخطيب الذي ينصح في أمورِ الطرق والوسائل ينبغي عليه أن يكون على علم بطبيعة ومدى موارد الدولة، بحيث لو نسي شيء أمكنت إضافته؛ وإذا كان شيء غير كاف زيد في مقداره. وأيضاً عليه أن يعرف كل نفقات الدولة، بحيث لو كان منها ما هو زائد استبعد، وإذا أفرطت في الكبر اختزلت؛ لأن الناس يصبحون أكثر ثراء ليس فقط بأن يضيفوا إلى ما يملكون، بل أيضاً باقتطاع النفقات، ولكن تحصيل نظرة عامة عن هذه الأمور ليس فقط من التجربة الفردية، بل لابد من أجل إسداء المشورة بشأنها من العلم الجيّد بما اكتشفه الآخرون (أرسطو، ١٩٨٠م، ص ٤١).

فالخطيب الذي لا يعلم حقيقة كلامه، لا يتحدّث حوله. وإذا ألقى كلاماً مع عدم العلم به، فيمكن أن يتّهمه الناس بإخباره بما لا يعلم وحتى بما يعلم.

و فضلاً عن ذلك فإن الخطيب ـ فيما يتعلق بموضوعه ـ ينبغي أن يتقن ليس علماً واحداً فحسب، بل وأيضا أن يعرف العلوم التي تكون في صلة وثيقة مع موضوعه، ولابدّ للخطيب أن يكون عالماً في كلّ هذه المسائل إلى حدّ ما، ولكن فهم أصل الموضوع،

أمر ذو أهميّة خاصّة ؛ لأن نجاح الخطيب يقوم على علمه بلا شك. و قال الله تعالى في كتابه العزيز : «**وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**» (الإسراء ١٧ : ٣٦).

هناك نقطة وهي : أنّ لعلم الخطيب وثقافته صلة بنوع الخطبة وثقافة الذين يسمعونه. فمثلاً خطبة الزواج أو خطبة تبحث حول نصيحة الناس لا تحتاج إلى كثير من الثقافة والعلم قدر ما تحتاج إليه خطبة سياسية أو خطبة قضائية ، إلّا أن الخطيب على كل حال يجب أن يكون عنده من اتساع الثقافة وامتداد آفاق المعرفة ما يمكنه من إجادة الموضوع الذي يخطب فيه ، حتى يضاف عنصر العلم والمعرفة إلى مجموع العناصر التي تتكون منها شخصيته ، والتي يؤثر مجموعها في نفسية السامعين ، فيستولي على مشاعرهم وعقولهم.

٤ـ سرعة تذكّره ؛ وممّا اشترطوه في الخطيب أن يكون سريع التذكر ، وأن يكون ذَكيراً لأوّل خطبته ، وهذا أمر هامّ. فإذا شغب عليه شاغب ، أو حدث من الأمور ما يضطرّ به إلى قطع كلامه ، فإنه يستطيع بما له من قوّة التذكر أن يوصل آخر الكلام بأوّله ، وعجُزه بصدره ، حتى لا تنقطع أوصال فكرته ، وحتى لا يكون أحد كلاميه أجود من الآخر. على سبيل المثال ، إذا واجه الخطيب مشكلاً في كلامه ، ينبغي أن يخرج من هذه الورطة بنكتة لطيفة ، ويخلص من الخطإ بطريقة سريعة. و الخطيب الناجح هو الذي يمتاز بقوّة التذكر والحفظ لكلّ شيء سلف من منطقه ، والذكر لأوّل كلامه.

و قد أتى محمد عبد الغني حسن (١٩٩٠م) برواية من تاريخ الخطابة العربية ويقول :

> **إن بعض خلفاء العبّاسيين ارتقى المنبر ليخطب. فسقطت على وجهه ذبابة ، فطردها . فرجعت ثانية فطردها إلى أن ضايقه ذلك بما انقطع معه خيط تفكيره وتعبيره. فأدركه الحصر والإرتاج ، فلم يجد غير آية من القرآن يستنقذ بها الموقف. فقال : «أعوذ بالله السميع العليم ، يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ» (الحج٢٢ : ٧٣). ثمّ نزل. فاستحسن الناس منه ذلك التخلص** (ص ١٦).

فسرعة التذكر أمر هامّ ، و قطع خيط التفكير على الخطباء أمر طبيعي ؛ لأنّ الخطيب فرد واحد أمام كثرة وجماعة ، وإذا أخذته هذه الفكرة ، قطع عليه خيط تفكيره ؛ لهذا فإن الخطيب الناجح هو الذي يتغلب على هذه المواقف بشكل جميل وطريق لطيف.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی

ظاهر الخطابة :

وهناك عناصر عديدة تعين الخطيب كثيراً ؛ مثل : حسن الإلقاء ، وفصاحة الكلام ، وامتزاج الكلام بالآيات القرآنية و... ، والملائمة بين العبارات ومعانيها ، نتطرق فيما يلي إلى بعضها :

١ـ حسن البيان والإلقاء ؛ إن البيان نعمة عظيمة من الله ﷻ كما قال : «**اَلرَّحْمنُ ۞ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۞ خَلَقَ الْإِنسانَ ۞ عَلَّمَهُ الْبَيانَ**» (الرّحمن٥٥ : ١ـ٤).

والإلقاء ذو أثر كبير في استمالة السامعين ؛ فمن الخطباء من يكون فاتر الإلقاء ضعيف التأثير ، فتضيع أدلته الكثيرة المقنعة. ومنهم من يأتي بأدلة أقل أو أضعف ، لكن يثير عواطف السامعين ويلهب مشاعرهم ؛ فيتحمسون لتنفيذ فكرته ، ويحاول كلّ واحد منهم أن يعمل على تحقيق شيء منها بقدر طاقته. فالخطيب الناجح هو الذي يسعى أن يلقي كلامه بأحسن وجه ممكن ، وهو يستعين بكلّ شيء يمكن أن يعينه في استمالة المخاطبين وإقناعهم. «**وقال إسماعيل بن غزوان : الأصوات الحسنة والعقول الحسان كثيرة ، والبيان الجيّد والجمال البارع قليل**» (الجاحظ ، ب ١٩٥٥م ، ٣٤٢).

وإذا أراد الخطيب أن يقنع المخاطبين ويجتذب قلوبهم بكلامه، فعليه أن يهتمّ ببعض الأمور:

أوّلاً. عدم التسرّع في النطق؛ فإن النطق السريع يؤدّي إلى تشويه مخارج الحروف وخلط بعضها ببعض؛ لأن عضلات الفم واللسان لا يتيسر لها ما يكفي من الوقت لتنتقل من لفظ إلى آخر.

يقول أبو هلال العسكري (١٩٥٢م): «**علامة سكون نفس الخطيب ورباطة جأشه هدوؤه في كلامه وتمهّله في منطقه. وقال ثمامة: كان جعفر بن يحيى أنطق الناس، قد جمع الهدوء والتمهّل، والجزالة والحلاوة. ولو كان في الأرض ناطق يستغني عن الإشارة لكانه**» (ص ٢٢).

و بعدم التسرّع في النطق يسري الصوت إلى جميع المستمعين بيسر وسهولة.

ثانياً. إلقاء الشعر بشكل بعيد عن النثر؛ فإن الخطيب الذي يأتي بأمثلة من الأشعار يجب أن يضع الصوت بعيداً عن النثر، بحيث يكون الموسيقى واضحاً في أشعاره.

يقول الدكتور فاروق سعد (١٩٨٧م):

وإن أنس لا أنس إلقاء الشاعر ناظم حكمت، فلقد سمعته في سنة ١٩٦٠ يلقي قصيدة بالتركية في الندوة اللبنانية. ورغم جهلي والحضورِ اللغةَ التركية، فقد حدسنا من إلقاء الشاعر التركي ـ صوتاً وحركة ـ أن موضوع القصيدة يتعلق بالبحر؛ وكان هذا فعلاً (ص ٣٦٣).

فإذا كان إلقاء الشعر جميلاً، صوتاً وحركة، يمكن أن يفهم الناس موضوع الشعر مع عدم تعرّفهم على لغة ذلك الشعر.

و يقول أرسطو(١٩٨٠م): «**لا يكفي أن يعرف المرء ما يجب عليه أن يقوله، بل عليه أيضاً أن يعرف كيف يقوله، وهذا يسهم كثيراً في جعل الكلام يظهر ذا طابع معين**» (ص ١٩٣).

ثالثاً. عدم التناقض في الكلام. يعني أنّ الخطيب يقول في آخر كلامه شيئاً يتناقض مع ما قاله في أول الكلام. وهذا من البواعث التي تضلّ المخاطبين عن الحقيقة.

رابعاً. القول اللّين. فالقول اللّين يؤثّر جدّاً في قلوب المخاطبين. قال الله ﷻ إلى موسى وهارون: «**اِذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى ۞ فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى**» (طه ٢٠: ٤٣ـ٤٤).

و أيضا يقول إلى محمّد النبيّ ﷺ: «**فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**» (آل عمران ٣: ١٥٩).

٢ـ فصاحة الكلام؛ والفصاحة في الكلام فنّ، بحيث قال موسى عليه السلام في هارون: «**هُوَ أَفْصَحُ مِنّي لِسانًا**» (القصص ٢٨: ٣٤).

و من فصاحة الكلام وضوح المعنى، سهولة اللفظ، جودة السبك و... فيجب أن تكون كلّ كلمة في الخطبة جارية على القياس الصرفي، بيّنة في معناها، مفهومة عذبة سلسة، بعيدة من الغرابة وتنافر الحروف و....

و يجب أن تسلم العبارات من ضعف التأليف، وتنافر الكلمات، والتعقيدين الفظي والمعنوي، وتتابع الإضافات، وكثرة التكرار و... فإذا أراد الخطيب أن يكون كلامه فصيحاً، فعليه أن يعرف علم الصرف والنحو. يقول الجاحظ (ب ١٩٥٥م): «**وكان أيوب السختياني يقول: تعلّموا النحو؛ فإنّه جمال للوضيع وتركه هُجنة للشريف**» (ص ٢٤٩).

أما الفصاحة في الخطابة، فمن أهمّ مزاياه ما يمكن أن يسمّى «الوضوح». ويتبيّن ذلك من أن الكلام إذا لم يجعل المعنى واضحاً، فإنه لايؤدي وظيفته الخاصّة، كذلك ينبغي أن لا يكون وضيعاً، ولا فوق مكانة الموضوع، بل مناسب له. وسبيل الوضوح هو التعبير في سهولة.

أما الخطيب، فحين يُغمض ويُبهم، فليس عند السامعين من الوسائل ما يمكنهم من استدراك ما فاتهم من المعنى. فيضيع قصد الخطيب ومراده. ومن هنا كان الوضوح للخطيب ضرورة لازمة.

٣ـ امتزاج الكلام بالآيات القرآنية و... ؛ قال الجاحظ (آ ١٩٥٥م) :

قال الهيثم بن عدي : قال عمران بن حطان : إن أوّل خطبة خطبتها عند زياد ـ أو عند ابن زياد ـ . فأُعجب بها الناس، وشهدها أبي وعمي. فظننت أني لم أقصر فيها عن غاية، ولم أدع لطاعن علة. ثمّ إني مررت ببعض المجالس، فسمعت رجلاً يقول لبعضهم : هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن! (ص ١٣٧).

فخُلوّ الخطبة العربية من بعض آي القرآن، ينقص من قدرها، مهما كان حظّها من البلاغة وقوّة الحجة، وتزيينها بالقرآن مما يستحسن في الخطب.

و قد يستشهد الخطيب بالأمثال في خطبته، فيذكر مثلاً أو حكمة معروفة، يزيّن بها الكلام ويزخرفه ؛ فإنّ للمثل ميزة مفيدة في استمالة السامعين وإثارة شعورهم. وربما يؤثر المثل في الخطبة ما لا تفعل الخطبة بأجمعها.

و أيضا من عوامل تأثير الخطيب على المخاطبين امتزاج الكلام بالعبارات المسجعة. ومع أن علماء البيان لم يشرطوا التزام السجع في الخطب، لكنهم استحسنوه فيها.

٤ـ الملائمة بين العبارات ومعانيها ؛ ونجد آثار هذه الملائمة بين اللفظ والمعنى في الأغراض الشعرية ؛ مثلاً : أحد مقوّمات الوصف أن تكون العبارات والتركيب ملائمة لما يوصف ؛ كما قال الله ﷻ في وصف القيامة : «**بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ الْقارِعَةُ ۞ مَا الْقارِعَةُ ۞ وَما أَدْراك مَا الْقارِعَةُ ۞ يَوْمَ يَكونُ النّاسُ كَالْفَراشِ الْمَبْثوثِ ۞ وَتَكونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۞ فَأَمّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ ۞ فَهُوَ فِي عيشَةٍ راضِيةٍ ۞ وَأَمّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ ۞ فَأُمُّهُ هاوِيةٌ ۞ وَما أَدْراك ما هِيَهْ ۞ نارٌ حامِيةٌ**» (القارعة ١٠١ : ١ـ١١).

فالعبارات هنا جزلة قويّة تلائم مشاهد هذا اليوم المرعب.

أو مثلاً يصف مقام أهل الجنّة : «**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفي نَعيمٍ ۞ عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ ۞ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعيمِ ۞ يُسْقَوْنَ مِن رَحيقٍ مَخْتُومٍ ۞ خِتامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنافِسُونَ ۞ وَمِزاجُهُ مِنْ تَسْنيمٍ ۞ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ**» (المطففين ٨٣ : ٢٢ ـ٢٨). فالعبارات هنا جاءت رقيقة لطيفة تناسب مقام الجنّة ونعيمها وسعادة أهلها.

و الخطيب الناجح هو الذي يهتمّ بظاهر خطابته (حسن التعبير) كاهتمامه بباطن الخطابة (جمال المعنى).

باطن الخطابة :

يلزم أن يكون موضوع الخطابة متناسباً مع عقول المخاطبين، وأيضاً يجب أن يكون معناه موافقاً لمقتضى الحال، كما ينبغي أن يكون موضوعه مبتكَراً وجديداً، لتؤثّر أكثر فأكثر على المخاطبين. وإليك تفصيل ما قلنا :

١ـ التناسب بين الموضوع وعقول المخاطبين ؛ قال الله ﷻ : « **وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...**» (إبراهيم ١٤ : ٤) ؛ لأنّ مدار الأمر على البيان والتبيين، والإفهام والتفهيم. وكلّما كان الكلام أبين، كان أفضل. فالخطيب الناجح هو الذي يتحدث مع الناس بقدر عقولهم : «**روي عن الصادق ﷺ أن عيسى قام خطيباً في بني إسرائيل. فقال: يا بني إسرائيل! لا تكلّموا بالحكمة عند الجهّال فتظلموها، ولاتمنعوها أهلها فتظلموهم**» (الحرّاني، ١٣٧٣هـ.ش، ص ٢٨). و قال رسول الله ﷺ : «**إنّا معاشرَ الأنبياء أُمرنا أن نكلّم النّاسَ على قدر عقولهم**» (السابق، ص ٣٦). وأيضا عن أبي عبد الله جعفر الصادق ﷺ قال : «**ما كلّم رسولُ الله العبادَ بكنه عقله قطُّ**» (الكليني، آ ١٣٤٤ هـ. ش، ص٢٧). و أحسن الكلام ما زانه حسن البيان.

٢ـ البلاغة ؛ «**أمّا البلاغة، فتأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلّاب، مع ملائمة كلّ كلام للموطن الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخاطَبون**» (الجارم، ١٣٧٩هـ. ش، ص ١٦).

فالبليغ إذا أراد أن ينشئ خطبة، فكّر في أجزائها، ثمّ دعا إليه من الألفاظ والأساليب أخفّها على السمع، وأكثرها اتصالاً بموضوعه، ثمّ أقواها أثراً في نفوس سامعيه، وأروعها جمالا. فينبغي لكلّ خطيب أن يعلم بأنّ لكلّ مقال مقام. فعلى سبيل المثال عندما يتكلّم في مجلس الزواج، لا ينبغي أن يتكلّم حول الموت ويوم القيامة، وكذلك ينبغي له في الخطب الدينية أو مثلاً الاجتماعية أن يطنب كلامه، ولكن الإطناب في الخطب العسكرية يخرج الكلام عن حدّ البلاغة، ويجعله غرضاً لسهام الناقدين.

فالخطيب الناجح ذو دقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته، وحال السامعين والنزعة النفسية التي تغلب عليهم ؛ لأنه يمكن أن يكون كلام حسناً خلّاباً في موضع ومستكرهاً في موضع آخر.

إذن لابدّ للخطيب أوّلاً من التفكير في المعاني التي تجيش في نفسه، وثانياً استخدام الكلام في مواطنه. فالخطيب الناجح هو الذي يدرك المقام وما يقتضيه من المقال. فإذا اقتضى المقام إطالة الكلام يطنبه، وإذا اقتضى اختصار الكلام يوجزه، وإذا اقتضى المقام إثارة الحزن، لا يتكلّم بالفرح والسرور، وإذا اقتضى المقام الفرح والسرور، لا يتكلّم حول الهموم والغموم، و إذا خاطب الأطفال، لا يتكلّم حول الشيخوخة والموت و...، وإذا خاطب الشيوخ، لا يتكلّم حول ألعاب الطفولة.

الخاتمة :

ممّا تقدم يمكن القول أن الخطابة هي في الأصل فنّ أدبي يعتمد على القول الشفوي في الاتصال بالناس لإبلاغهم رأياً حول مشكلة ذات طابع جماعي. وبمعنى أشمل، هي فنّ المخاطبة بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة، وتوجيه السامعين نحو ما يقصده الخطيب.

و الخطيب إذا أراد أن يجتذب قلوب المخاطبين، وأن يثير الانفعال المطلوب في نفوسهم، وأن ينعش ذاكرتهم، وأن يجعلهم مائلين إليه، وأن يثير مشاعرهم، فعليه أن يكون كلامه بوجه أحسن، وبلفظ أحلى، وبمعنى أجمل، وببيان أكمل. فعليه أن يهتمّ بظاهره وبباطنه، وأيضا بظاهر خطابته وباطنها.

كما عليه أن يهتمّ بجمال وجهه وقوّة صوته وإشاراته وحركاته، وأن يتحلّى بالتقوى والفضائل الأخلاقية، والعلم والثقافة والمعرفة وغير ذلك.

وعليه أن يهتمّ بظاهر خطابته ؛ بحيث كانت ألفاظها وعباراتها واضحة صحيحة ممزوجة بالأمثال والحكم والآيات القرآنية و... وعليه أن يهتمّ بباطن خطابته ؛ بحيث يكون معناه جديداً موافقاً لمقتضى الحال، متناسباً مع عقول المخاطبين.

وإقناع المخاطبين واستمالتهم واجتذاب قلوبهم أمر صعب جدّاً ؛ لأن المخاطبين لا يتخلون عن عقائدهم بسهولة ؛ و لهذا قال بعض الخطباء: لقد شيّبني ارتقاء المنابر.

❁❁❁

المصادر والمراجع

أ) العربية

• **القرآن الكريم**.

١ـ أرسطو. (١٩٨٠م). ***الخطابة***. (ترجمة وشرح عبدالرحمن بدوي). بغداد : دار الرشيد.

٢ـ البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٠٧هـ). ***الجامع الصحيح***. (ج٧). بيروت : دار إحياء التراث العربي.

٣ـ الجاحظ، عثمان بن بحر. (آ ١٩٥٥م). ***البيان والتبيين***. (ج١). بيروت : دار الفكر.

٤ـ ــــــــــــــــ . (ب ١٩٥٥م). ***البيان والتبيين***. (ج٢). بيروت : دار الفكر.

٥ـ الجارم، علي. (١٣٧٩هـ . ش). ***البلاغة الواضحة***. (ط١). طهران : إلهام.

٦ـ الحاوي، إيليا. (د. ت). ***فنّ الخطابة و تطوّره عند العرب***. بيروت : دار الثقافة.

٧ـ حسن، محمّد عبدالغني. (١٩٩٠م). ***الخطب والمواعظ***. (ط٢). مصر : دار المعارف.

٨ـ الزركلي، خيرالدين. (١٩٦٩ م). ***الأعلام***. (ج١). (ط٣). بيروت : دار الكتب العربية.

٩ـ سعد، فاروق. (١٩٨٧م). ***فنّ الإلقاء العربي***. (ط١). بيروت : دار الكتاب اللبناني.

١٠ـ العسكري، الحسن بن عبدالله. (١٩٥٢). ***الصناعتين***. (تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم). (ط١). بيروت : دار إحياء الكتب العربية.

١١ـ المجلسي، محمّدباقر بن محمدتقي. (١٣٣٥هـ. ش). ***بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار***. (ج٢). تهران : دارالكتب الإسلامية.

١٢ـ المظفر، محمّدرضا. (١٩٦٨ م). ***المنطق***. (ط٣). النجف الأشرف : مطبعة النعمان.

ب) الفارسية

١٣ـ الحرّاني، حسين بن شعبة. (١٣٧٣ هـ. ش). ***تحف العقول عن آل الرسول***. (ترجمة وتصحيح آية الله كمره اي وعلي أكبر غفاري). تهران : سازمان چاپ دريا.

١٤ـ شريعتي سبزواري، محمّدباقر. (١٣٧٣ هـ. ش). ***اصول ومبادي سخنوري***. (چ١). قم : دفتر تبليغات اسلامي.

١٥ـ فلسفي، محمّدتقي. (١٤١٠ هـ). ***سخن و سخنوري از نظر بيان و فنّ خطابه***. (چ١). تهران : الحديث.

١٦ـ الكليني، محمّد بن يعقوب. (آ ١٣٤٤ هـ. ش). ***الكافي***. (ترجمه و شرح سيّد هاشم رسولي محلاتي). (ج١). تهران : دفتر نشر فرهنگ اهل بيت.

١٧ـ ــــــــــــــــ . (ب ١٣٤٤ هـ. ش). ***الكافي***. (ترجمه و شرح سيّد هاشم رسولي محلاتي). (ج٤). تهران : دفتر نشر فرهنگ اهل بيت.